

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً، اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين
قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق
الله علي العبيد] قال:

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: { يوفون بالنذر }، وقوله: { وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه }، وفي الصحيح
عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا
يعصه)

بسم الله الرحمن الرحيم، و الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ونبيه محمد، وعلى آله
وصحبه أجمعين أما بعد:-

فقد قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - في [كتاب التوحيد]

◊ باب من الشرك النذر لغير الله

ما المراد بالشرك ها هنا؟ الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى،

وذلك إن النذر عبادة، ومن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك،

وقوله في الترجمة "من الشرك" "من": تبعية أي بعض أنواع الشرك: النذر

تقدم معنا يوم أمس تعريف النذر وأن النذر هو (إلزام المرء نفسه شيئاً ليس واجباً عليه يلزم الإنسان نفسه بشيء
ليس واجب عليه) سواء كان من الطاعات أو من الأمور المباحات هذا هو النذر،

◊ والنذر - يا رعاكم - الله أنواعاً متعددة:-

منه نذر طاعة، ونذر معصية، ونذر لجاج وغضب، ونذر مباح هذه أنواع النذور

- نذر طاعة كأن يقول لله علي نذر أن أحج بيت الله الحرام أو أن أزور مسجد رسول الله ﷺ هذا يسمى نذر طاعة
- نذر المعصية كأن يقول والعياذ بالله لله علي نذر أن يقطع رحمه هذا نذر معصية أو أن يسافر سفرا معصية
- نذر المباح كأن يقول لله عليه نذر أن يمشي مسافة خمس كيلو تمرينا أو نحو ذلك هذا نذر مباح
- النوع الرابع هو نذر اللجاج والغضب وهو الذي يصدر من الإنسان حال المنازعة والمشادة فيقول نذر علي كذا وكذا لا يقصد بذلك حقيقة النذر وإنما بذلك يعنى تأكيد كلامه أو نفى كلام ضده أو إلزام غيره أو نحو هذا
- وهناك نوع خامس وهو النذر المطلق بأن يقول نذر علي ولا يسمى شيئا

◆ وهذه الأنواع الخمسة لكل منها حكم:-

- فأما نذر الطاعة فإنه يجب الوفاء به؛ نذر الطاعة يجب الوفاء به لما سيأتينا من حديث عائشة - رضي الله عنها - (من نذر أن يطيع الله فليطعه)
 - ونذر المعصية يحرم الوفاء به؛ لقوله (و من نذر أن يعصى الله فلا يعصه) بصرف النظر عن لزوم الكفارة أم عدمها
 - نذر اللجاج والغضب يخير فيه بين فعل ما نذر أو أن يكفر كفارة يمين؛ لأنه خرج في الواقع خرج مخرج اليمين فيخير بين أن يفعل ما نذر أن كان مباحا أو جائزا أو مشروعا أو أن يكفر كفارة يمين
 - وكذلك النذر المطلق الذي لم يسمى فإنه يخرج منه - أيضا - بكفارة يمين
- هذه هي أنواع النذور أما من حيث النذر من أصله فقد قدمنا أن أقل أحواله الكراهة أقل أحوال النذر الكراهة،
- وقال بعض العلماء- وإلى هذا يميل [شيخ الإسلام ابن تيمية]- بالتحريم.
- وذلك أن النذر تضيق واسع والله تعالى تعبدنا وأمرنا بشرائع فلا وجه لأن نلزم أنفسنا بما لم يلزمنا الله تعالى به فما أمرنا به إما أمر وقع على سبيل الإلزام فهو الواجبات أو أمر وقع على سبيل الاستحباب فهو المستحبات والنوافل فلا وجه لأن يضيق الإنسان على نفسه واسعا ويلزم نفسه بما لم يلزمه الله به،

والدليل علي كراهة النذر قول النبي ﷺ: (النذر لا يأتي بخير إنما يستخرج به من البخيل)،

وصدق هو بأبي وأمي ﷺ فإننا رأينا الناس يندرون ثم يشقون في نذورهم تجدد الواحد رجل كان أو امرأة يندر نذرا لأمر عرض عليه أو حل به ثم إذا كشف الله أمره وحقق مراده شقي يريد الخروج من تبعات هذا النذر ويبحث عن من يفتيه ويخرجه منه ويضيق زرعاً به مع أنه كان في عافية فكيف يضيق علي نفسه، وما أصدق قول النبي ﷺ: (وإنما يستخرج به من البخيل)

فإن هؤلاء اللذين يندرون تجدد أحدهم مثلاً يقول لله علي نذر أن أذبح مثلاً ناقة ثم يبحث عن مفتي يفتيه هل يجوز أن يذبح ناقة الصغيرة ولا حاشي ولا كذا يريد أن ينزل من القيمة، أو إذا قال نذرت أن أذبح يذهب لبحث مخرج هل يجزئه أن يذبح مثلاً شيئاً لن يبلغ السن المجزئ أو غير ذلك،

كما أن النذر - يا أيها الإخوان، ويا أيتها الأخوات - فيه نوعاً من سوء الظن بالله كأن هذا الذي نذر يظن أن الله تعالى لا يجيب دعوته إلا بمقابل كأنه وقع في قلبه أن الله لا يستجيب الدعوات، ولا يقضى الحاجات إلا إذا بذل شيئاً مع أن ربنا سبحانه وبحمده واسع العطاء "يد الله ملأ سحاء الليل والنهار أريتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه سبحانه وبحمده" فكيف يقايض العبد ربه ويقول إن كذا كذا

فان قال لنا قائل أليس الله تعالى قد امتدح الموفين بالنذر فقال: { يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً } نقول بلى قد امتدحهم وهم أهل ملدحه لكن الجواب عن هذا الإيراد من وجهين:-

(١) الوجه الأول: أن النذر قد يراد به مطلق الطاعة؛ أن النذر قد يراد به مطلق الطاعة وليس النذر الذي بالتعريف الفقهي عند الفقهاء إلزام المكلف نفسه عبادة غير واجبة فقد يراد بالنذور الأمر الواجب بأصل الشرع، ولهذا قال ربنا - عز وجل - : { ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم } يعني أهل المنسك إذا رجعوا من عرفة، والمزدلفة يزيلوا عنهم يتحللون ويزيلون عنهم الأذى الذي هو التفث { وليوفوا نذورهم } يعني ما لزمهم من المناسك .

(٢) - الجواب الثاني: أن يقال إن الله امتدحهم على وفائهم بالنذر الذي التزموا به لا على إنشائهم للنذر وفرق بين الابتداء وبين الوفاء فنحن نقول ابتداء النذر مكروه، وربما كان محرماً كما قد قيل لكن الوفاء به إذا انعقد واجب ومن أتى واجب فإنه يحمد علي فعله للواجب هل هذا واضح،

- طيب - إذا انتهينا - نعم - إخواني الجواب عن هذا الإيراد لو قال قائل كيف أن الله تعالى امتدح الموفين بالندر فنقول الجواب من وجهين:-

- الوجه الأول: أن النذر ربما أريد به عموم الطاعات؛ لا النذر بالتعريف الخاص عند الفقهاء إلزام المكلف نفسه طاعة غير واجبة فيكون الله امتدح هؤلاء علي فعلهم ما لزمهم بأصل الشريعة

- الجواب الثاني: أن يكون الله تعالى امتدحهم علي تتميم نذورهم التي عقدوها؛ لأن من عقد نذرا ولم يأتي به فهو أهل للذم، ومن عقد نذر وأتى به فهو أهل للمدح لكن هذا لا يتضمن الثناء علي إنشاء النذر من أساسه

- طيب - لندرج إلي متن الكتاب يقول الشيخ - رحمه الله - باب من الشرك النذر لغير الله

هل هناك أحد ينذر لغير الله:

نعم وما أكثرهم فإن من الناس من ينذر للقبور، من ينذر للمشاهد من الناس، من ينذر لبعض الملائكة من الناس من ينذر للأنبياء، للصالحين لغير ذلك فهذا تقرب لغير الله - عز وجل - فهو شرك لأن النذر عبادة فكل صورة من صور النذور التي مثلا تجدهم يقول الله عليه نذر أن أسوق ثلاث رؤوس من الغنم إلى قبر السيد فلان هذا نذر لغير الله فمن تقرب بهذه النذور إلى غير الله فقد وقع في الشرك الكبر لأن النذر لا يكون إلا لله

◊ استدل بقول الله تعالى: { يوفون بالندر }

دلت هذه الآية الكريمة على أن النذر عبادة لأنها هذه الآية جاءت في سياق الثناء علي بعض المؤمنين ماذا قال الله تعالى قبلها: { إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالندر ويخافون يوما كان شره مستطيرا } فما قال الله تعالى هذا في وصفهم (يوفون بالندر) إلا لأن النذر عبادة، ولما كان عباده حرم صرفه لغير الله

وليت أن المؤلف أضاف إليها الآية الأخرى في سورة الحج وهي قول الله تعالى: { ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم } لأن اللام في قوله (وليوفوا) لام الأمر فدل ذلك علي إن هذا مأورا به فهو عبادة إذا (وليوفوا نذورهم) فالندر إذا عباده،

◊ ثم استدل بقول الله تعالى: { وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر }،

(وما أنفقتم) "ما" هذه شرطية إذا أين فعل الشرط؟ (أنفقتم) أين جوابه وجزائه؟ جملة فإن الله يعلمه، ويصح إن تكون ما موصولة بمعنى الذي والذي أنفقتم من نفقة أو أنفقتم من نفقه فإن الله يعلمه لكن هي أن تكون شرطية أليق، {وما أنفقتم من نفقة}

"من نفقه" هذا يدل على الاستغراق أي كانت تلکم النفقة يعني سواء كانت نفقة صالحة أو غير صالحة، مقبولة أو غير مقبولة لأن الإنسان قد ينفق نفقات على غير الوجه الصحيح فأفاد الله تعالى أن الله أنه مطلع عالم، "وما أنفقتم من نفقة" ونفقة نكرة في سياق الشرط فدللت على العموم هذه قاعدة نكرها دوما النكرة في سياق الشرط تدل العموم،

"أو نذرتم من نذر" وهذا موضع الشاهد يعني للنذر كذلك نذر في سياق نكرة في سياق الشرط فيتناول كل نذر مقبول كان أو غير مقبول مشروع كان أو غير مشروع،

{(فإن الله يعلمه)} هذا جواب لكن قوله "فإن الله يعلمه" ليس خبرا مجردا بل هو يدل على أن الله يجازى عليه فلا شك أن الله تعالى يعلم كل شيء لكنه يفيد تضمنا أن الله يعلمه ويجازيكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر كذا إذا (فإن الله يعلمه) أي يعلم وقوعه منكم ويكافئكم عليه ويجازيكم عليه

فهو في الواقع فيه معنى الوعد والوعيد فدللت هذه الآية :

- على معنى إثبات النذر وأنه عبادة لله - عز وجل -

- ودلت الآية على إثبات علم الله تعالى {فإن الله يعلمه} يعني دق أو جل
- ودلت - أيضا - على إن إثبات الجزاء فما من عمل يعمله الإنسان - أيها الإخوان، ويا أيتها الأخوات - من قول أو فعل إلا وهو مسطور مزبور مكتوب يقول الله تعالى: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا}، ومثل هذه الآيات يعني توجب للمؤمن تقوى واحتياطا لنفسه وماذا خلف وراء ظهره فيتحلل من حقوق العباد ويتوب إلى الله - سبحانه وتعالى - حتى يوافي ربه - عز وجل - خفيف الظهر، - طيب - وفي الآية ما يدل - أيضا - على الوفاء بالنذر (يوفون بالنذر)

◊ وبعد ذلك ذكر المصنف حديث عائشة

قال وفي الصحيح تقدم معنا أنه ليس للمصنف رحمه الله قاعدة مضطردة في قوله في الصحيح فتارة يريد به ما في الصحيحين وتارة يريد به ما في أحدهما كما ها هنا فإن الصحيح ها هنا مراده به صحيح البخاري،

عن عائشة - رضي الله عنها - هي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق أئفه النساء أئفه نساء الصحابة على الإطلاق وهل نقول أفضلهن الواقع أن فضل عائشة كما قال النبي ﷺ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام هكذا زكاها النبي ﷺ فقال: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" تعرفون الثريد أو لا يحسن أن نذكركم بالطعام الآن الثريد هو كما عرفه الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

يعنى هو المسمى عندنا القرصات يقول خبز معه لحم، ولذلك كان أفضل الطعام لأنه ضم البر واللحم - طيب -
ففضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام،

ولكن العلماء اختلفوا في المفاضلة بين بينها وبين خديجة - رضي الله عنها -:

فمنهم من قدمها، ومنهم من قدم خديجة، وكلهن أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهم - أزواج رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين والله حسيب من نال منهن ورماهن بالفك من المنافقين القدامى والمحدثين

فإن عائشة - رضي الله عنها - قد طالها من أذى المنافقين قديماً أن رموها بالإفك فأنزل الله براءتها قرأنا يتلى إلى يوم القيامة، وفي منافقي هذا الزمان من الروافض وأشكالهم من يطعنون في عرضها إلى يومنا هذا وقد توعدهم الله - عز وجل - بالعذاب الأليم،

وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث عدة وكانت - رضي الله عنها - عمرت حتى سنة سبع وخمسين من الهجرة وهذا يدلنا على حفظ الله تعالى لدينه حيث قيض الله تعالى لنبيه ﷺ هذه الفتاة الذكية النبيلة التي حفظت عن رسول الله ﷺ خاصة أمره في بيته فيما لا يطلع عليه إلا أهله فضبطته ضبطاً تاماً وحدثت به وأمد الله تعالى في عمرها حتى تلقى عنها العلم بقية الصحابة والتابعون،

أن رسول الله ﷺ قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) جملة شرطية من اسم شرط نذر فعل الشرط

"أن يطيع الله فليطعه" جواب الشرط فدللت هذه الجملة على وجوب الوفاء بنذر الطاعة فمن نذر نذر طاعة لزمه أن يفي به ولا يخرج منه بكفارة يجب عليه أن يفي بنذره ولهذا اعلموا يا رعاكم الله وحذروا من ورائكم لا يضيق الإنسان على نفسه واسع يطع الله - عز وجل - طواعية من تلقاء نفسه ويفعل ما أمره الله تعالى به أمر استحباب

وأمر وجوب دون أن يلزم نفسه بما لم يلزمه الله به فإن كثيرا من الناس ينذر أن يصوم كل اثنين وكل خميس وهو حين ذاك يجد في نفسه نشاطا وقوة فإذا ما تقدم به العمر وضعف يعنى ندم أن كان قد نذر هذا النذر فانتبه لهذا،
(ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) فلا يجوز الوفاء بنذر المعصية أما النذر الذي وقع على وجه شركي فهذا لا
ينعقد أصلا فتم فرق بين نذر المعصية، والنذر الشركي

- نذر المعصية القول الراجح أنه منعقد كما ذهب إلى ذلك [الإمام أحمد، وأبو حنيفة] ولذلك ألزموا بالكفارة،
- وذهب [الشافعي] إلى عدم انعقاده وأنه لا كفارة فيه،

أما نذر الشرك من نذر لقبر أو لجن أو ميت أو لملك أو كذا تقرب إلى غيره فهذا لم ينعقد أصلا لأنها ليست عبادة في أصلها بل هي شرك منافي للتوحيد فهذا لا ينعقد ابتداء، كما إن اليمين إذا كان يمينا صحيحا يعنى حلف على يمين بالله حلف بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته علي أمر مستقبل عقد ذلك في قلبه فهو منعقد ولو حلف بغير الله هل ينعقد يمينه لا ينعقد من حلف بغير الله لا ينعقد يمينه كذلك من نذر لغير الله فإن نذره لا ينعقد

◆ ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة جدا

- وأفادنا أن النذر عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك اكبر
- وأفادنا بوجوب الوفاء بنذر الطاعة
- وأفادنا ثالثا بتحريم الوفاء بنذر المعصية

ثم نستمع إلى مسائل

هذا الباب فيه مسائل:

* الأولى وجوب الوفاء بالنذر

[الشرح]: وهذا بين من قول الله - عز وجل -: { يوفون بالنذر }، ومن قول النبي ﷺ: { من نذر أن يطيع الله فليطعه }

* الثانية إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك

[الشرح]: وقول الشيخ إذا ثبت ليس مراده التردد في ذلك مراده أنه ما دام قد ثبت فإن صرفه لغير الله شرك فلا شك في ثبوته عباده

* الثالثة أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به

[الشرح]: لقوله: (ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) انتهى.

الباب الذي يليه

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقال الله تعالى: { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا }

وعن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قالت: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) [رواه مسلم]

[الشرح]

قال المصنف - رحمه الله تعالى -

◆ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

هذه الترجمة ليست على إطلاقها، وإنما أراد الشيخ - رحمه الله - نوعا من أنواع الاستعاذة وهو الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هذا هو الذي يكون من الشرك،

أما الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير فليس شركا بدليل قول النبي ﷺ: (يعوذ بهذا البيت عائذ) في أحاديث آخر الزمان

فالإستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير جائزة وليست شركا كما أن الاستغاثة بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير جائزة قال تعالى: { فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه } - طيب - إذا مراد الشيخ من هذه الترجمة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله مراده فيما لا يقدر عليه إلا الله،

وما الاستعاذة؟ الاستعاذة - أيها الإخوان - هي طلب العوذ طلب العوذ، وما العوذ العوذ هو الالتجاء والاعتصام هذا هو معنى الاستعاذة، وحقيقة الاستعاذة الهرب من شيء مخوف إلى من يؤمنه منه كأن يرى الإنسان

مثلا سبعا فيهرب منه ويدخل في بيت يتقي به أو يرى عدوا فيلتجأ إلى قسم الشرطة أو نحو ما يعود بقسم الشرطة وهكذا، فحقيقة الاستعاذة الهرب من شيء مخوف إلى مأمن - طيب - وقد قال الشاعر مفرقا بين الاستعاذة بين العياذ واللياذ يقول :

يا من ألوذ به فيما أوّمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس كسرا أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

- إي والله - هذا لا ينبغي إلا لله - عز وجل - لا يجوز أن يقال في حق مخلوق وإن كان قائله ربما قاله في حق مخلوق لكنه لا يصح إلا لله "يا من ألوذ به فيما أوّمله" دل هذا على أن اللياذ يكون في الأمور المطلوبة والمحجوبة، "ومن أعوذ به مما أحاذره" دل على أن العياذ يكون من الأمور المرهوبة لا يجبر الناس كسرا أنت كاسره - إي والله - من كسره الله فلا يجبر كسره أحد، "ولا يهيضون عظما أنت جابره" من جبره الله فلا كاسر له

◊ استدلل المصنف - رحمه الله - تعالى بقول الله تعالى: { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن

فزادوهم رهقا

هذه الآية جاءت في سياق خبر الجن - رحمهم الله ورضي عنهم - الذين لقوا النبي ﷺ قال الله - عز وجل - : { قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا } لله درهم قوم مؤمنون من الجن لقوا النبي ﷺ، واستمعوا إلى تلاوته سمعوا القرآن، وفرحوا به ثم صاروا يخبرون بما يعلمون من حالهم، ونقل الله تعالى ذلك عنهم،

ولهذا - أيها الإخوان - أنتم يا معشر طلبة العلم ينبغي أن يميز الإنسان ويفحص ما يقال بشأن الجن بين الحق واليقين، بين الظن والصحيح فإن الناس ما زالوا يخوضون في أمر الجن يزيدون، وينقصون، ويذكرون الأساطير، والخرافات والظن لا يغني عن الحق شيئا الحق هو ما ذكره الله تعالى في كتابه أو ذكره نبيه ﷺ في سنته وفيه غنية وكفاية، أما ما يتداوله الناس ويتحدثون به في مجالسهم وأسماهم فلا تصدق ولا تكذب،

إذا قرأت سورة الجن تبين لك أن هذا الخلق خلق من خلق الله يعتره ما يعترى الآدميين، وأنهم عباد معبدون لله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك منهم المسلمون، ومنهم القاسطون، وأنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا رشدا، وأن السماء محمية مصونة منهم إلى آخر ما ذكروا فمما ذكروه - رحمهم الله ورضي عنهم -

هذه الجملة وأنه بفتح الهمزة لأنها مؤولة بمصدر

{ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا } أخبر هؤلاء المؤمنون من الجن بأنه كان رجال من الإنس،

وهنا كلمة "رجال" خرج الأغلّب وإلا ربما وقع هذا الأمر من النساء - أيضا - يعوذون برجال من الجن، وأفادنا ذلك على أن في الجن رجال ونساء فيهم ذكورة وأنوثة وهذا هو الحق،

ولهذا قيل في تفسير قول النبي ﷺ (أعوذ بالله من الخبث والخبائث) أن الخبث ذكور الشياطين، والخبائث نسائها فلا شك أن منهم ذكور وإناث ولهذا يتناسلون ويتكاثرون

{ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن } يعوذون بهم عيادة شركية وقد جاء ذلك مفسرا في الآثار وهو أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا نزل في سفره في واد نادى بصوته وقال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه سيد هذا الوادي من الجن لأنهم يخشون أن تصيبهم الجن بأذى إما بقذف أو قتل أو نحو ذلك فيعلنون الدخول في عيادتهم أعوذ بسيد هذا الواد من سفهاء قومه هكذا كانت النتيجة كما أخبر مؤمن الجن؟ قال:

{ فزادوهم رهقا } ما الرهق؟ العنت والمشقة والتعب هذا هو الرهق

وللآية توجيهان

- (فزادوهم رهقا) أما أن المراد فزاد الإنس الجن رهقا فيكون معنى رهقا حين إذا أي طغيانا وتكبرا لما وجد الجن أن الإنس يعوذون بهم صار عندهم نوع من الزهو والغرور والعجب والطغيان الذي يستطيلون به على الإنس لأن الإنسان إذا استضعف لغيره فإن مقابله يستطيل عليه فهذا هو التوجيه الأول للآية أي زاد الإنس الجن طغيانا وتجبرا وعدوانا.
- التوجيه الثاني (فزادوهم رهقا) أي زاد الجن الإنس عنتا، وأذى ومشقة، لأنهم استذلوهم واستضعفوه ولا مانع من اجتماع المعنيين وصحة التفسيرين فالواقع أن عياد الإنس بالجن أدى إلى نتيجتين مزيد تجبر الجن واستطالتهم على الإنس وطغيانهم، وأدى - أيضا - إلى مزيد عنت الإنس، وضعفهم، وخورهم أمام الجن فاجتمع المحظوران.

- طيب - إذا مناسبة هذه الآية للباب ظاهرة:

لأن الله تعالى أنكر على لسان هؤلاء المؤمنين من الجن ما فعله مشركوا الإنس من العياذ بالجن فنستفيد منها أن الاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله - عز وجل - لأن هذا جاء في مقام الاستنكار لأن سياق الآية سياق استنكار من مؤمن الجن على رجال من الإنس

- ونستفيد من الآية - أيضا - أن في الجن رجال ونساء لو كانوا رجالا فقط ما احتيج إلى قول برجال.
- ونستفيد - أيضا - أن من استعاذ بغير الله ناله عنت ومشقة؛ من استعان بغير الله وكله الله إليه من استعان بغير الله وكله الله إليه فأورثه عنتا ورهقا.
- ونستفيد - أيضا - أن رسالة نبينا ﷺ للإنس والجن؛ بأن النبي ﷺ دعا الجن وآمنوا به أو آمن به بعضهم ولهذا يا إخواني لما كان الإنسان ضعيفا بطبعه ويعتريه الضعف والقلق والتوجس شرع الله تعالى له الاستعاذة شرع الله لنا الاستعاذة لأن الإنسان قد يدركه من الأمور الباطنة أو يلحقه من المخاوف وهو في مكان منفرد ما لا يمكن أن يعيذه إلا الله الواحد القهار فكان العبد يستعيذ بربه ، ويناجيه في كل ما ألم به،
- وقد شرع الله تعالى لنا المعوذتين وختم بهما كتابه العزيز { قل أعوذ برب الفلق }، و { قل أعوذ برب الناس }، فأما سورة الفلق ففيها الاستعاذة من الشرور الخارجية، وأما سورة الناس ففيها الاستعاذة من الشرور الداخلية، والعجب إن سورة الفلق المستعاذ به وصف واحد أو اسم واحد من أسماء الله الحسنى هو وصف الربوبية { قل أعوذ برب الفلق }، والمستعاذ منه عدة أشياء { من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد } أربعة أمور شاملة لجميع الشرور الخارجية، والمستعاذ به اسم واحد من أسماء الله الحسنى وهو رب الفلق، وأما في سورة الناس فالمستعاذ به ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى، والمستعاذ منه شيء واحد هو الوسواس تأملوا معي { قل أعوذ برب الناس ملك الناس إليه الناس } ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى مما يستعاذ به { من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس } مما يدلكم على خطر الوسواس وعظيم أثره في النفس فلذلك احتيج إلى أن يستعيذ بهذه الأسماء الشريفة الثلاثة،
- وقد كتب ابن القيم - رحمه الله - رسالة عظيمة تفسير المعوذتين فارجعوا إليها فإنها مفيدة في بابها - طيب -

◊ قال المصنف - رحمه الله - وعن خولة بنت حكيم

هذه الصحابية سلمية وهي زوجة عثمان ابن مظعون صاحب رسول الله ﷺ وهي امرأة من فضليات نساء الصحابة قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من نزل منزلا) هكذا من نزل منزلا، إذا منزلا نكرة في سياق في سياق ماذا؟ الشرط فدللت علي العموم يعني سواء كان نزوله نزولا دائما أو كان نزولا طارئا فيدخل إذا في مفهوم المنزل أم تنزل بيتا لتتخذ سكنك الدائم أو أن تنزل في مكان مؤقت علي سبيل الاستئجار أو تنزل في نزهة أو في طريقك في السفر كل ذلك يسمى منزلا

فقال (أعوذ بكلمات الله التامات) يعني قال النازل أعوذ، وقد تقدم معنا معنى "أعوذ" أي ألتجئ وأعتصم بكلمات الله التامات، "كلمات الله" أي كلامه وربنا سبحانه وبحمده من صفاته الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع صفة الكلام، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر منها هذا الدليل، (أعوذ بكلمات الله التامات)

ما معنى "التامات" أي الكاملات وكيف كان تمامهن؟ تمامهن من وجهين فقد قال ربنا - سبحانه وتعالى - (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) إذا تمام كلمات الله بالصدق في أخبارها، والعدل في أحكامها هذا وجه كونها تامة أو تامات الصدق في أخبارها والعدل في أحكامها { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا } إذا أعوذ بكلمات الله التامات أي الكاملات التي ليس فيها نقص ولا عيب التي تتميز بالصدق في أخبارها والعدل في أحكامها

(من شر ما خلق) هذا يتناول جميع الشرور من جميع مخلوقات الله - عز وجل -،

ما جواب الشرط وجزائه (لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)

الله أكبر هذا خبر نبوي يجب علينا نصدقه لم يضره شيء حتى يرحل من منزله أي لا يمكن أن يتعرض لأذى، وذلك إذا أتى بهذه الاستعاذة على الوجه الصحيح يعني على وجه الإخلاص لله تعالى، أما إذا قام مانع من الموانع فانه قد يخلها فلا يتحقق أثرها لأن نتيجة كل شيء لا بد فيها من توفر الشروط، وانتفاء الموانع

فبعض الناس يوفر الشرط ويخل بما له وهذا نظائره كثيرة أضرب لكم مثلا،:

- قال النبي ﷺ عن الفاتحة (قال وما يدريك أنها رقية) - طيب -، ومع ذلك يسترقى بعض الناس أو يرقى نفسه بالفاتحة ولا يحصل له الأثر وما ذاك إلا لنقص في فعله كأن يكون يعني استرقى أو رقى نفسه بها على وجه لم يصاحبه الإخلاص لله - عز وجل - فضعفت تلك الرقية في مقاومة المرض،

- مثالا آخر قول النبي ﷺ لو إن أحدكم إذا أتى أهله قال (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا بسم الله لم يضره شيطان أبدا) ومع ذلك يوجد من الناس من يقول هذا الدعاء قبل أن يأتي أهله ويأتيه غلام شقي فيكون ذلك ناتج نقص، وقيام مانع من الموانع فلا بد أن يحقق الإنسان الشروط، وأن يجاذر ويتحاشى الموانع إذا لم يضره شيء
- أيضا شيء نكرة في سياق النفي لم فتدل على العموم فلا يضره لا حيوان ولا إنسان ولا جماد ولا شيء من الأشياء، ويذكر أن القرطبي - رحمه الله - أنى نزلت منزلا فنسيت أن أدعو بهذا الدعاء فلدغتنى عقرب، وكان من عادته ألا يدعه لكن لما لم يقع منه أصابه قدر الله - عز وجل - فينبغي لنا أن نعود أنفسنا وأهلينا وأبنائنا وإخواننا إذا نزل الإنسان في نزهة برية أو كذا أن أول ما يبدأ به إذا وضع قدمه في ذلك الموضع أن يقول "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" ما أسهلهن من كلمات، وما أعظم أثرهن لا يضره شيء وطبعا هذا الحديث مناسبتة للباب ظاهرة:

لأنه استعاذة بالله وبكلمات الله، وكلمات الله صفة من صفاته فدل ذلك على أنه على أن الاستعاذة بصفات الله كالاستعاذة بالله لأن الصفة تتبع الموصوف وشاهدوا ذلك

- ومثال قول النبي ﷺ في الرقية (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) أمر عثمان ابن العاص لما قال أنه أصابني وجع منذ أن أسلمت فقال ضع يدك على موضع الألم ثم قل (بسم الله ثلاث مرات ثم قل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات) قال ففعلت فأذهب الله عني ذلك فاستعاذ النبي ﷺ بعزة الله لأنها صفته وبقدرته لأنها صفته فيستعيذ العبد بالله أو بسم من أسمائه أو بصفة من صفاته،

◆ فدل هذا الحديث المفيد على:

- أنه يشرع الاستعاذة بهذا الدعاء أو يشرع قول هذا الدعاء
- ودل على مشروعية الاستعاذة بأسماء الله تعالى وصفاته
- ودل على فائدة عقديّة مهمة وهي أن كلام الله منزل غير مخلوق، وفيه الرد على المعتزلة، وهذا من أدلة أهل السنة والجماعة على أن القرآن غير مخلوق لأنه لو كان كلام الله مخلوقا كما تزعم المعتزلة لن تجوز الاستعاذة بمخلوق فهذا يدل على أنه وصف له وليس مخلوقا لأنه لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق

- وفيه ما يدل على إحاطة علم الله - عز وجل - وتدبيره لجميع الكائنات لم يضره شيء فنواصي العباد والمخلوقات بيده سبحانه وبحمده

◆ ونستمع إلى المسائل

فيه مسائل:

الأولي: تفسير آية الجن.

[الشرح]: تفسير الآية؛ وقد تقدم الكلام عليه { وأنه كان رجالا من الإنس يعوذون برجالا من الجن فزادوهم رهقا }

الثانية: كونه من الشرك.

[الشرح]: كونه من الشرك؛ لأن هذا الخبر من مؤمن الجن جاء في سياق الاستنكار على مشركي العرب

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

[الشرح]: الاستعاذة على ذلك في الحديث؛ وذلك أن العلماء لما استدلوا أن كلام الله - عز وجل - غير مخلوق استدلوا بهذا الحديث قالوا لأنه لا يجوز أن يستعاذ بغير الله والدليل على ذلك هذا الحديث

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

[الشرح]: دعاء مختصر وجيز؛ ومع ذلك فإن أثره ونتيجته وعاقبته حميدة عظيمة

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

[الشرح]: هذه فائدة؛ يعني كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على ثوابه، من أين استنبط المصنف هذا؟ من أنه كان رجالا من الإنس يعوذون برجالا من الجن يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فربما فعلا كف عنه سفهاء قومه لكن هل هذا يبيح الاستعاذة بغير الله؟ لا لا يبيح الاستعاذة فليس معني وجود نفع أن ذلك يجعل العمل مباحا فربما مثلا طلب بعض الناس فعل معصية وكوفئ وحصل له منفعة هذا لا يدل على صوابها فيقال هذا لمن صوغ له نفسه غشيان بعض المحرمات بدعوي حصول النفع فيها المرجع إلى النص والحكم الشرعي.